على ايصال هذه الذخائر؛ اذ لا فائدة من امتلاك سلاح دمار شامل، سواء أكان نووياً او كيميائياً، ما لم تتوفر القدرة الموازية على ايصال هذا السلاح الى هدفه المفترض. وفي هذا المجال، تبرز اهمية برنامج البناء الصاروخي العراقي الذي يتواصل تنفيذه منذ سنوات. وكان هذا البرنامج بدأ بصورة متواضعة خلال حرب الخليج، بواسطة صواريخ «سكاد» السوفياتية، التي يصل مداها الى ٣٠٠ كيلو متر؛ ثمّ تطور خلال المراحل الأخيرة من تلك الحرب بفضل صواريخ «الحسين» التي يبلغ مداها (٦٥٠ كيلومتراً؛ ومن بعدها صواريخ «العباس»، التي يبلغ مداها ٨٥٠ كيلومتراً. ويفترض ان يكون هذا البرنامج على وشك الاستكمال بواسطة صواريخ «العابد» الجديدة، التي يقدر مداها بحوالى ١٨٥٠ كيلومتراً. ويبدو، استناداً الى تقديرات مختلفة من مصادر عدة، ان العراق يمتلك بضع مئات من هذه الصواريخ، على اختلاف انواعها، قادرة على تغطية كل ارجاء المشرق (بما فيه اسرائيل) من الحوض الشرقي للبحر الابيض المتوسط، وصولاً الى الحدود الايرانية، الشمالية والشرقية، حتى الطرف الجنوبي للخليج.

واضافة الى الصواريخ، هنالك، بالطبع، امكانية استعمال الطيران لايصال تلك القذائف الى اهدافها المفترضة.

*
* *

ان المعلومات والتحليلات التي اشرنا اليها، والتي يكاد معظم المصادر الاجنبية، والعربية، يجمع على صحتها، تشكّل، بدون شك، نقطة تحوّل هامّة للغاية في الخارطة السياسية ـ الاستراتيجية لمنطقة الشرق الاوسط والصراع العربي ـ الاسرائيلي، الى درجة يمكن معها القول اننا قد بدأنا الدخول في مرحلة جديدة من تاريخ المنطقة.

ولعله، اولاً، من المفيد الاشارة، في هذا الصدد، الى ان هذا الوضع الجديد، او الاعلان عنه بالشكل الذي تمّ فيه ذلك، لم يكن مفاجئاً، بالنسبة الى البعض على الاقل. فمنذ انتهاء الحرب الايرانية ـ العراقية، وخروج العراق منتصراً منها، راحت تطلق في اسرائيل تحليلات خجولة، ساهم فيها معلقون وباحثون ومحللون من ذوي الخلفيات والاتجاهات المختلفة، مفادها ان الطريقة التي ادار بها العراق حربه ضد ايران، ثمّ انتصاره فيها، جعل منه قوة باتت تشكل خطراً على اسرائيل. وتعززت مخاوف هؤلاء عندما لاحظوا ان العراق، حتى بعد انتهاء الحرب مع ايران، ثابر على دعم برنامج تصنيعه الحربي، واستمر في تنفيذه، بعزم وعلى نطاق واسع، وكأن الحرب لم تنته. ونتيجة لذلك، ذهب بعض اولئك الى القول انه اذا لم يكن العراق قد اصبح قوة اقليمية تستطيع مواجهة اسرائيل، عندما يدور الحديث عن الاسلحة الاستراتيجية، فانه يسير بخطى حثيثة على الطريق نحو تحقيق ذلك الهدف.

قد تبدو هذه التوقعات، لاول وهلة، طيبة الى درجة لا يمكن معها تصديقها، خاصة لابناء جيلي النكبة والهزيمة العربية. وقد يبدو، أيضاً، ان فيها الكثير من التفكير الرغائبي او التفاؤل. والحقيقة هي انه لا يمكن توجيه لوم كبير الى المتحفظين من هذه التحليلات، او المشككين في جدواها، في ضوء تجارب الماضي المريرة، وخيبات الأمل التي تلتها. فلا يزال العديد منا يذكر، مثلاً، اعلان الرئيس جمال عبد الناصر، في حينه، عن وجود صواريخ لدى مصر، اطلق عليها اسما «الظافر» و«القاهر»، يصل مداها حتى «جنوب بيروت». ولما جاءت ساعة الامتحان، سنة ١٩٦٧ مثلاً، اتضح انه لم يكن هنالك لا